



لا شك أن عيد الأضحى يجدد في قلوبنا وقع تلك العزيمة الإيمانية العظيمة والمنقطعة النظير التي أبداها سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام استسلاماً لأوامر الله تعالى، الأمر الذي يشد العزائم ويمتسن علاقة المرء بخالقه.



لا شك أن كثيراً من الناس يضحون في سبيل أهداف شتى ولكن ليست كل تضحية تنال رضى الله أو تكون في سبيل مرضاته. ومن يعمن النظر يجد أن جميع الناس يقدرون معاني التضحية وما تحمله من وهج في النفس.. رغم أن هناك بونا شاسعا بين هذه التضحيات والتضحية الإبراهيمية المباركة..

إن من الآباء من يضحى بنفسه في سبيل إسعاد أبنائه لوجه الله تعالى، وهناك من يضحى بناء على دافع غريزي عاطفي. وهناك من يضحى في سبيل مبادئ شتى.. لكن تضحية إبراهيم عليه السلام تبقى متميزة عن كل هذه التضحيات التي اعتاد الناس عليها.. لقد أمر الله عز وجل عبده إبراهيم عليه السلام بتضحية أعظم وأعز شيء يتعلق بوجوده.. إذ أمره بأن يضحى بالشيء الذي يضحى الناس كلهم من أجله.. بأنفسهم! ولم يتردد طرفه عين أو يعترض على ما أمره الله به بل بادر بالامتثال لأمره عز وجل.. نعم لقد تناسى عليه السلام تلك العاطفة الأبوية الجياشة، وتناسى تلك العاطفة الزوجية التي تربطه بالسيدة هاجر، وتناسى عواطف النسل والذرية التي كانت متجسدة في ابنه الوحيد.. مع أنه عليه السلام كان قد بلغ من الكبر عتياً، ولم يكن لينتظر منه أن ينجب نسلاً آخر بعد ذلك الغلام الذي كان قرّة عينه. ولكن هذه العواطف لم تزحزح سيدنا إبراهيم ولم تغير شيئاً من عزمه وإيمانه، مع أنه

الأضحى..

الاستسلام لله وذبح الأمانة

كان رقيق القلب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود: ٧٦) - بل نهض بعزيمة إيمانية صادقة ممتللاً لأمر الذي ناداه في الرؤيا. ثم فلننظر إلى ذلك الابن البار الذي لم يتردد قط في تسليم رقبته تلبية وفداء وطاعة لأبيه إبراهيم وإله إبراهيم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٣)

ومن هنا تتجلى لنا تلك الروح الفدائية الطاهرة المباركة التي تمتع بها هذا الابن كأبيه حيث أظهر الله بهذا الابتلاء جوهره فطرتهما التي كانت مشتركة في الطاعة



يتذكرون جانباً آخر من تضحيات إبراهيم عليه السلام حينما استحباب لأمر الله تعالى تاركاً ابنه البكر وزوجته في تلك البقعة التي لا زرع فيها ولا ماء ولا أنيس، مضحياً بزوجته وفلذة كبده ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٨)

إن نداءات التلبية التي تفتف بها جموع الحجاج تستعيد في نفوس المؤمنين تلك الذكرى المحيية لأبيهم إبراهيم عليه السلام عندما قدم أعظم ضحية لله العلي الأجل وكان لسان حالهم يقول: يا رب، إننا مستعدون لأن نضحى بأنفسنا وما نملكه من غال ورخيص في سبيلك، كما قدم إبراهيم عليه السلام تضحياته..

ويظهر من فلسفة الأضحية في الإسلام معاني الاستسلام لله كلية وذبح النفس الأمانة. ومن هذا المنطلق فإن في تكبيراتنا (الله أكبر) يوم العيد إيجاء.. وكأننا نذبح نفسنا الأمانة ونضحى بها في سبيل الحصول على مرضاة الله. وفي هذا الأمر إقرار ضمني بأننا رأينا في تضحية إبراهيم عظمة رب العزة وجلاله وكبريائه..

وإنه لمن دواعي شكر الله تعالى وحمده أن أوضح لنا سيدنا أحمد عليه السلام فلسفة الأضحية وحقيقة النسك والضحايا في الإسلام في خطبة مباركة جلييلة من فيض الإلهام الإلهي تجلت فيها حكمة الأضحى ومقاصده في ذبح النفس الأمانة والانقياد التام لله عز وجل. جعلنا الله وإياكم من الذين انسلخت عنهم هواجس النفس الأمانة بالاستسلام لله والانقياد لأوامره سبحانه وكل عام وأنتم بألف خير وصلّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ولا يخفى على اللبيب أن في هذا الأمر إشارة غيبية خفية لأعظم عطية من الدوحة الإسماعيلية سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان ذبحاً عظيماً على عتبة ربه في سبيل مرضاته والمستسلم الكامل له عز وجل.

والاستسلام لأوامره عز وجل ﴿..يا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *... وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٤ إلى ١٠٨)

ولا يخفى على اللبيب أن في هذا الأمر إشارة غيبية خفية لأعظم عطية من الدوحة الإسماعيلية، سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان ذبحاً عظيماً على عتبة ربه في سبيل مرضاته والمستسلم الكامل له عز وجل. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بجلاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)

إن حجاج بيت الله الحرام الذين يؤدون مناسك الحج